5th International Seminar on Islamiyyat Studies (IRSYAD 2019 || eISBN 978-967-2122-82-1)
5th & 6th November 2019 || Tenera Hotel, Bangi, Selangor, Malaysia
Organized by Faculty of Islamic Civilisation Studeis. International Islamic University College, Selangor, Malaysia

3019

دلالة البناء الصوتي للكلمات على المعنى في القرآن الكريم

الأستاذ أمير الدين بن إسحاق
amilrudin@kuipsas.edu.my
الدكتور طه طلال عبد العليم حنفي
taha@kuipsas.edu.my
الكلية الجامعية الإسلامية ببهانج السلطان أحمد شاه

الملخص

من المعلوم أن اللغة العربية تتميز بوجد المناسبة بين ألفاظها ومعانيها وتتقارب ألفاظها لتقارب معانيها. وهذا يدل على مشاكلتها للطبيعة من جهة وصدق دلالة الألفاظ على معانيها من جهة أخرى. وقد لمح القدماء في الحرف العربي قيمة تعبيرية موحية بالدلالة. فالكلمة العربية مركبة من هذه الحروف الصوتية التي يمكن أن يستقل كل حرف منها ببيان معنى خاص لأن كل حرف له صوت معين وكل صوت له ظل وإشعاع معين. ومشكلة البحث هي تتلخص في الإجابة عن المقصود بالبناء الصوتي للكلمة ودوره في تحديد المعني. وأثر في تحديد المعنى داخل السياق القرآني والغرض البلاغي من ذلك والفرق بين السياق القرآني وغيره في التعبير. والهدف العام من البحث هو بيان الحكمة الإلهية في وجود كلمات تدل بنسيجها الصوتي على معنى معين داخل النص القرآني وإماطة اللثام عن أسبابها البلاغية والمعنوية وبيان تجليات القرآن بوصفة رحمة للعالمين. أما منهج البحث فيعتمد على المنهج الوصفي التحليلي للكلمات والتركيب في سياق القرآني. ويتكون البحث من المدخل وفيه العلاقة بين اللفظ ومدلوله. ويليه المبحث الأول فيه المفسرون ومظاهر مناسبة الألفاظ لمعانيها والمناسبة بين أصوات الحروف مفردة ومركبة ومعانيها الموضوعة لها والمناسبة بين بعض الصيغ اللغوية ومعانيها. والمبحث الثاني فيه مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث والقيمة البيانية للحرف داخل الكلمة والألفاظ الموضوعة لمحاكاة الأصوات. والمبحث الثالث فيه البناء اللفظي للكلمة وأثره في المعنى والتكرار في اللفظ لتكرار المعنى وترتيب أصوات الكلمة وفق أجزاء الحدث وتوالى حركات المثال لتوالي حركات الأفعال.

الكلمات المفتاحية *: الحروف، الدلالة، الكلمة، الألفاظ، المعاني*

الحمد لله كرّم الإنسان، وشَرَّفَ اللسانَ العربيَّ بالبيان على كل لسان، فجعله لغةَ أهلِ الجنان، وبه أَنزلَ القرآن، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المشرَّف بالشفاعة، المخصوص ببقاء شريعته إلى أن تقوم الساعة، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، وأتباعه الأخيار صلاة باقية بقاء الليل والنهار، أما بعد: قد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن ظل كتابه الخالد شغلاً شاغلاً للباحثين والدارسين جيلاً بعد جيل، وقد توجه لتفسيره ودراسته ثلة من الأولين وثلة من الآخرين، ولذا عقدنَا العزمَ على أن أبحث في دلالة النباء الصوتي للكلمات على المعنى في القرآن الكريم.

ويقع الموضوع تحت محورين من محاور المؤتمر وهما المحور الأول: تجليات القرآن بوصفه رحمة للعالمين في استخدام مثل هذه الكلمات والتراكيب، والمحور الثاني: مقاصد القرآن، ويكشف عن بعض أسرار القرآن الكريم في استخدام الألفاظ بتركيب معين للدلالة على معني معين.

مشكلة البحث: تتلخص في الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما المقصود بالبناء الصوتي للكلمة وما دوره في تحديد المعني؟ وهل

لذلك أثر في تحديد المعنى داخل السياق القرآني؟ وما الغرض البلاغي من ذلك؟ وما الفرق بين السياق القرآني وغيره في التعبير؟

والهدف العام من البحث: بيان الحكمة الإلهية في وجود كلمات تدل بنسيجها الصوتي على معنى معين داخل النص القرآني، وإماطة اللثام عن أسبابها البلاغية والمعنوية، وبيان تجليات القرآن بوصفة رحمة للعالمين.

منهج البحث: فيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي للكلمات والتركيب في سياق القرآني؟

ويتكون البحث من: مدخل وفيه العلاقة بين اللفظ ومدلوله، والمبحث الأول: المفسرون ومظاهر مناسبة الألفاظ لمعانيها، وفيه مطالبان: المطلب الأول: المناسبة بين أصوات الحروف مفردة ومركبة ومعانيها الموضوعة لها، المطلب الثاني: المناسبة بين بعض الصيغ اللغوية ومعانيها، والمبحث الثاني: مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، وفيه مطلبان: المطلب الأول: القيمة البيانية للحرف داخل الكلمة، والمطلب الثاني: الألفاظ الموضوعة لمحاكاة الأصوات، والمبحث الثالث: البناء اللفظي للكلمة وأثره في المعنى، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: التكرار في اللفظ لتكرار المعنى، والمطلب الثاني: ترتيب أصوات الكلمة وفق أجزاء الحدث، المبحث الثالث: توالي حركات المثال لتوالي حركات الأفعال، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والاقتراحات والتوصيات من البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

المدخل: **العلاقة بين اللفظ ومدلوله**

من المعلوم أن اللغة العربية تتميز بوجد المناسبة بين ألفاظها ومعانيها، وتتقارب ألفاظها لتقارب معانيها، وهذا يدل على مشاكلتها للطبيعة من جهة، وصدق دلالة الألفاظ على معانيها من جهة أخرى.

وقد لمح القدماء في الحرف العربي قيمة تعبيرية موحية بالدلالة، فالكلمة العربية مركبة من هذه الحروف الصوتية التي يمكن أن يستقل كل حرف منها ببيان معنى خاص؛ لأن كل حرف له صوت معين، وكل صوت له ظل وإشعاع معين.[1]

وقد كشف الخليل وسيبويه وابن جني وابن فارس والسيوطي وغيرهم، عن قضية المناسبة بين الألفاظ والمعاني، فسيبويه يرى أن المصادر التي تأتي على (فعلان) تدل على اضطراب وتحرك[2]، ويرى الخليل أن تكرار الحروف إنما يدل على تكرار الحدث[3]، ويأتي ابن جني في القرن الرابع الهجري فيخصص هذه القضية بأبحاث قيمة مثل (مناسبة الألفاظ للمعاني)، و(تقارب الألفاظ لتقارب معانيها)، و(إمساس الألفاظ أشباه المعاني) وغيرها[4], وهنا يأتي السؤال الآتي:

هل العلاقة بين اللفظ ومدلوله عرفية أم ذاتية؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول: لقد اختلف القدماء حول دلالة اللفظ على المعنى كما يأتي:

ذهب بعض العلماء إلى أن العلاقة بينهما علاقة ذاتية طبيعية، ومن هؤلاء عبَّاد بن سليمان الصيمري من المعتزلة، وفي ذلك يقول السيوطي: "نقلَ أهلُ أُصول الفقْه عن عبّاد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهبَ إلى أنَّ بين اللفظ ومدلولَه مناسبةً طبيعيةً حاملةً للواضع على أن يضعَ، قال: وإلاّ لكانَ تخصيصُ الاسم المعيَّن بالمسمَّى المعَّين ترجيحاً من غير مُرَجّح، وكان بعضُ مَنْ يرَى

(1) الصالح، د. صبحي، دراسات في فقه اللغة، ص142، ط دار العلم للملايين، الثالثة 1997 م، وعلام، د. عبد العزيز، في علم اللغة العام، د. عبد العزيز علام، ص170 وما بعدها، ط. دار الطباعة المحمدية، الأولى1410هـ، 1990م.

(2) العريان، د. محمد عبد الحفيظ علم الدلالة نشأة وتطورا، 248 وما بعدها ط. التركي الثانية 1424هـ، 2003م.

(3) العين (ص ل ل).

(4) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2 ص154، تح محمد علي النجار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999م.

رأيَه يقول: إنه يعرفُ مناسبةَ الألفاظ لمعانيها فَسُئل ما مُسَمَّى (اذغاغ) وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجدُ فيه يُبْساً شديداً وأراه الحجر".[1]

ويخالف الجمهور ما قال عبَّاد لأنه "لو ثبتَ ما قالَه لاهْتَدَى كلُّ إنسان إلى كل لغةٍ، ولما صحَّ وضعُ اللفظ للضدين، كالقَرْء للحيض والطّهر، والجَوْن للأبيض والأسود، وأجابوا عن دليله بأنَّ التخصيص بإرادة الواضع المختار خصوصاً إذا قلنا: الواضعُ هو اللّه تعالى، فإن ذلك كتخصيصه وجود العالَم بوقت دون وقت".[2]

ومن ثم فالجمهور يرى أن الصلة بين الألفاظ والدلالة لا تعدو أن تكون صلة اصطلاحية، تواضع عليها الناس، وقد تناول الدكتور إبراهيم أنيس قضية العلاقة بن اللفظ ومدلوله، وانتهى إلى أن هذه العلاقة مكتسبة وليست وليدة مع اللفظ، وإنما اكتسبها بمرور الأيام وكثرة التداول، وقال: "الألفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات، كل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى بالشجرة يمكن أن يسمى بأي لفظ آخر متى اصطلح الناس عليه، وتواضعوا على استعماله، فليس في لفظ الشجرة ما يوحي بفروعها وجذورها وأراقها وخضرتها، وقد كان من الممكن أن يعبر عن هذه المعاني برموز أخرى غير صوتية كالإشارة ونحوها، ولكن الإنسان بدأ منذ أمد بعيد جداً يتخذ من أصواته رموزاً للتعبير عمّا يخطر في ذهنه، واستعمل في هذا ما نسميه بجهاز النطق الذي وظيفته الأصلية الطبيعية المضغ والبلع والتنفس".[3]

ويضعف هذا الرأي أحد الباحثين لأمرين: "الأول: أن القول بأن اللغة نشأت عن طريق الوحي والإلهام؛ مؤدي هذا أن اللفظ اختير اختياراً حكيماً للتعبير عن معناه، والثاني: تلك المناسبة الواضحة لكل ذي عينين بين اللفظ والمعنى تلك في تلك الألفاظ التي تحكي أحداثها كأسماء الأصوات والأحداث مثل أنين وأزيز وخرير"[4]

والذي أميل إليه في هذه القضية أن المناسبة ليست ذاتية مطردة، ويجب التمييز بين الألفاظ كما يأتي:

1- الألفاظ وقت نشأتها في اللغة الإنسانية الأولى، كانت محاكية لأصوات الإنسان والحيوان والأشياء الأخرى ومناسبة لمدلولها، من ذلك القهقهة للإنسان، ورغاء الناقة، وخرير الماء، وكذلك الأفعال التي يحدثها الإنسان مثل القطف، والقطع، والقطم بالنسبة للأشياء الأخرى[5]، ومما يدل على صحة ذلك أن ابن جني يميل إلى القول بأن اللغة نشأة من محاكاة الأصوات، ولهذا قال بوجود المناسبة بين الألفاظ ومعانيها.[6]

2- بعض الألفاظ فَقَد الصلة بين أصوات حروفه ومعانيها؛ وذلك نتيجة لتطور الأصوات بالقلب والإبدال، أو لتغير مدلول الكلمات في بعض الأحيان، وذلك يؤدي إلى فقدان العلاقة بين الصوت وما يدل عليه.

---

(1) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، ج1 ص47، تح محمد أحمد جاد المولي، ط دار ابن خلدون، الثالثة بدون تاريخ.

(2) المرجع السابق.

(3) أنيس، د. إبراهيم، دلالة الألفاظ 71 وما بعدها، ط. مكتبة الأنجلو المصرية، الخامسة 1984م.

(4) سليم، جابر على السيد، المباحث الدلالية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف، الصفحة 92، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة عام 1412هـ، 1992م، برقم (2099).

(5) وافي، د. على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص169 وما بعدها، ط. نهضة مصر، السابعة 1393هـ، 1973م.

(6) ابن جني، الخصائص الجزء 1 الصفحة ص47 وما بعدها.

3- بعض الألفاظ وُضعت لمعان جديدة في العصور المختلفة، وذلك بعد نشأة الإنسان ولا شك أن الإنسان بعد أن ارتقى من طور البدائية أخذ يضع ألفاظاً للمعاني من دون النظر إلى صلتها بأصواتها، وهنا تجد الكثير من الألفاظ التي لا صلة لها بمعانيها[1]، وبالأخص تلك الألفاظ ذات الدلالات المعنوية.

المبحث الأول: المفسرون ومظاهر مناسبة الألفاظ لمعانيها.

لا تخلو كتب التفسير من الإشارات إلى مناسبة الألفاظ لمعانيها، ذلك لأن المفسر يجب أن يكون عالماً بدقائق اللغة وأسرارها، ليكشف عن مقاصد الكتاب العزيز، وفي هذا المبحث سنكشف عن جهود بعض هؤلاء المفسرون لأن الكشف عن كل محاولاتهم يحتاج إلى أعمال بحثية كثيرة.

المطلب الأول: المناسبة بين أصوات الحروف مفردة ومركبة ومعانيها الموضوعة لها.

كشف المفسرون عن المناسبة بين أصوات الحروف ومعانيها الموضوعة لها، وهنا تتضح القيمة التعبيرية للحرف في مناسبته لما وضع له من الحدث، سواء وقع هذا الحرف في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، فمن أمثلة وقوعه في أول الكلمة: خضم وقضم، ومن أمثلة وقوعه في وسطها: القسم والقصم، ومن أمثلة وقوعه في آخرها: النضح والنضخ[2]، وقد كشف ابن عطية الأندلسي مثلاً عن دلالة النضخ فقال: "النضاخة هي الفوارة التي يهيج ماؤها"[3]، ولا ريب أن مراعاة اللين أو القوة، والخفة أو الشدة، والهمس أو الجهر، في التعبير عن دلالة الألفاظ التي وردت في هذه المناسبة؛ يعد بمثابة الدليل الواضح على صدق المناسبة في العربية من جهة، والمحاكاة اللغوية المقصودة في لغة القرآن الكريم لأصوات الظاهرة المعُبر عنها بهذا اللفظ أو ذاك من جهة أخرى، هذا في الحروف مفردة، أما في الحروف المركبة فنبدو المناسبة بينها وبين معانيها في نوعين:

النوع الأول: أسماء الأصوات الطبيعية، مثل غاق للغراب، والواق للصرد ونحو ذلك، ومن أمثلة ذلك عند ابن عطية أيضاً قوله في (الضبح): "تصويت جهير عند العدو الشديد، ليس بصهيل ولا رُغاء، ولا نُباح، بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يضبح"[4]، ويشير إلى بناء أسماء الأصوات فيقول: "والأصوات تأتي غالباً علة فُعال أو فعيل."[5]

النوع الثاني: كلمات تشبه أصواتها الأحداث المعبرة بها عنها، مع ترتيب وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، مثل جرَّ الشيء وشدّ الحبل، وصغية (استفعل) التي تدل على الطلب، يقول ابن عطية في تفسير قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً [البقرة من الآية: 17]): "(استوقد) يراد به طلب من غيره أن يوقد له على المشهور في باب (استفعل)، وذلك يقتضي حاجته إلى النار."[6]

المطلب الثاني: المناسبة بين بعض الصيغ اللغوية ومعانيها.

يبدو ارتباط الصيغ اللغوية بالمعاني الموضوعة لها كثيراً لكن يكفي أن أتناول منها ما يأتي:

---

(1) هلال، د. عبد الغفار حامد، العربية خصائصها وسماتها، ص190وما بعدها، ط دار الكتب الجامعية الحديثة 1999م.

(2) ابن جني، الخصائص ج2 الصفحة159.

(3)ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج14 ص277، تح عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال إبراهيم، ط، دار الفكر، ودار الكتاب الإسلامي، من دون تاريخ.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج15 ص544.

(5) المرجع السابق ج8 ص442.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1 ص184.

1- ما جاء في مضعف الثلاثي أو الرباعي وكان حكاية للأصوات، ومن أمثلة ذلك عند ابن عطية قوله في (صل، وصلصل): "صل الخزف ونحوه: إذا صوت بتمديد، فإذا كان في صوته ترجيع كالجرس ونحوه قلت: صلصل".(1)

2- المصادر التي تتابعت حركاتها كالفَعَلان والفَعَلى، كما قال ابن جني: "قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان: إنها تأتي للإضطراب والحركة نحو النقزان والغليان".(2)

3- ما كُرر فيه العين أو اللام، والأصل في هذا التكرار أن يكون للمبالغة لا للتعدية، قال ابن جني: "فقد جعلوا تكرار العين في المثال دليلاً على تكرار الفعل، فقالوا: كسَّر، وقطَّع، وفتَّح...وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك أنها واسطة لهما ومكنوفة بهما فصار كأنهما سياج لها ومبتذلات للعوارض دونها...وقد ضاعفوا اللام كما ضاعفوا العين للمبالغة نحو عُتُلّ، وصُمُلّ..." (3) ومن أمثلة ذلك قولهم في تفسير قوله تعالى: (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً[الإسراء: 91]): "(فَتُفَجِّرَ) تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية، كقوله تعالى (وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ [يوسف من الآية: 23])".(4)

- كما أن الزيادة في اللفظ لغرض المبالغة تعد من هذا القبيل، يقول ابن جني في باب (قوة اللفظ لقوة المعنى): "إذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به، وكذلك إن انحُرِف به عن سَمْته وهدَيتَه؛ كان ذلك دليلا على حادث متجدّد له".(5)

المبحث الثاني: مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث.

يقول ابن جني في هذه المقابلة: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونَهْج مُتْلئِب(6) عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبرَّ بها عنها فيعدلونها بها ويحتذُونها عليها، وذلك أكثر ممّا نقدّره وأضعاف ما نستشعِره، من ذلك قولهم: خَضِم وقِضِم؛ فالخَضْم لأكل الرَّطْب كالبِطّيخ والقِثَّاء وما كان نحوهما من المأكول الرَطْب، والقَضْم للصُلْب اليابس نحو قضِمتِ الدابَّة شعيرها ونحو ذلك".(7)

فللحرف قيمته التعبيرية سواء وقع أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، ثم قد تظهر هذه المقابلة في الكلمة كلها، بأن تحاكي هذه الكلمة الأصوات الطبيعية التي تدل عليها، وقد أشار المفسرون إلى هذين الضربين من المقابلة، وسأشير إلى أمثلة من القيمة البيانية للحرف داخل الكلمة، ثم أشير إلى أمثلة من الألفاظ الموضوعة لمحاكاة الأصوات عنده، ويتضح ذلك فيما يأتي.

المطلب الأول: القيمة البيانية للحرف داخل الكلمة.

والمقصود من القيمة البيانية للحرف هو أن الكلمة تكون في مبناها مثل كلمة أخرى، غير أن الفرق بينهما يكون من خلال هذا الحرف المختلف فيه، وقد كشف المفسرون النقاب عما يحمله الحرف داخل الكلمة من دلالة، من خلال مقارنتهم بنظيره في الكلمة الأخرى، ويتضح ذلك في الأمثلة الآتية:

---

(1) المرجع السابق ج 8 ص304.
(2) ابن جني، الخصائص ج2 ص154.
(3) المرجع السابق ج2 ص157.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج19 ص194.
(5) ابن جني، الخصائص ج3 ص271، والهَدْيِة: الطريقة والسيرة.
(6) المُتْلئِب أي المستقيم.
(7) ابن جني، الخصائص ج3 ص159.

1. **الخطف والقطف**، ومن أمثلتهما قوله تعالى: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[البقرة: 20]) قالوا: "لم يخطف البرق الأبصار، والخطف الانتزاع بسرعة"(1)، وفي تفسير قوله تعالى: (كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ[البقرة: 25]) قالوا: "إن ثمر الجنة إذا قطف منه شيء خرج في الحين في موضعه مثله فهذا إشارة إلى الخارج في موضع المجني"(2)، وقال في تفسير قوله تعالى: (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ[الحاقة:23]): "القطوف جمع قطف وهو يجتنى من الثمار ويقطف."(3).

وهنا نلاحظ أن القطف والخطف يجمعهما معنى الانتزاع والقطع، غير أن الخطف يستعمل بمعنى الانتزاع بسرعة، يقول في ذلك الزجاج: "معنى خطفت الشيء في اللغة واختطفته أخذته بسرعة"(4)، وأضاف القرطبي والسمين: ومنه سُمي الطير خطافاً لسرعته(5)، أما القطف فيستعمل لما هو أقل من ذلك أي في مجرد أخذ ما يجتنى من الثمار ونحوه.

وأقول: إن صوت القاف أقوى من الخاء، ولهذا ناسبت الخاء لخفتها الانتزاع بسرعة؛ نظراً للهمس والرخاوة والاستعلاء والانفتاح والإصمات في صوت الخاء، والقاف أقوى من الخاء لتميزها بالجهر والشدة والقلقة، وإن كانت تتفق مع الخاء في الانفتاح والإصمات.

2. **الفصم، والقصم**، ومن أمثلتهما قوله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[البقرة:256]): "الانفصام: الانكسار من غير بينونة، وإذا نفي ذلك فلا بينونة بوجه، والقصم كسر ببينونة، وقد يجيء الفصم بالفاء في معنى البينونة، ومن ذلك قول ذي الرمة:

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِن فِضَّةٍ نَبَهٌ في مَلعَبٍ مِن عَذارى الحَيِّ مَفصومُ(6)"(7)

وقال في تفسير قوله تعالى: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ[الأنبياء: 11]): "(قَصَمْنَا) معناه أهلكنا، وأصل القصم الكسر في الأجرام، فإذا استعير للقوم أو القرية ونحوه فهو ما يشبه الكسر وهو إهلاكهم."(8).

وهنا نلاحظ أن الفصم والقصم يجمعهما معنى الكسر والانفصال، ثم تختلف دلالة الفصم عن القصم تبعاً لاختلاف الأول بالفاء والثاني بالقاف، فدلالة الفصم أقل من القصم؛ لأن الفصم يأتي لمجرد القطع وغن لم يكن معه انفصال، يقال: فَصَمْتُ الشَّيْءَ أَفْصِمُه فصماً أي قطعته.(9)

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1 ص193.

(2) المرجع السابق، ج1 ص209.

(3) المرجع السابق، جزء15 الصفحة73.

(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه. ج1 ص96،. تح د. عبد الجليل عبده شلبي، ط. دار الحديث الثالثة 1418هـ - 1997م.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1 ص268، تح إبراهيم محمد الجمل، ط. دار القلم للتراث، بدون تاريخ، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج1 ص141، تح الشيخ علي محمد عوض وآخرون، ط دار الكتب العلمية بيروت، الأولى 1414هـ- 1994م.

(6) البيت من البسيط وهو لذي الرمة في ديوانه 248، الدُملُجٌ من أنواع الحلي، وهو يذكر غزالاً شبهه وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى، نَبَهٌ أي منسي نسيته العذارى في الملعب، وجعله مفصوماً لتَثَنِّيهِ وانحنائه إذا نام، التاج، واللسان: (ن ب ه)

(7) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2 ص393.

(8) المرجع السابق، ج10 ص129.

(9) أبو عبيد، غريب الحديث، ج1 ص305، تح د. محمد عبد المعيد خان، ط. دار الكتاب العربي بيروت الأولى، 1396 هـ، 1976م، المحيط في اللغة، واللسان: (ف ص م).

أما دلالة القصم فهي أقوى ولذلك تستعمل فيما يكون مع الكسر انفصال وبينونة، قال القرطبي: "القصم الكسر، يقال: قصمت ظهر فلان، وانقصمت سِنّه إذا انكسرت، والمعنى به هاهنا الإهلاك، وأما الفصم (بالفاء) فهو الصدع في الشيء من غير بينونة"[1].

وأقول: إن تميّز القاف بالجهر والشدة في مقابلة ضعف الفاء بالهمس والرخاوة؛ هو الذي سوّغ أن يكون القصم أقوى في الدلالة على الكسر مع الفصل من الفصم، ومما يستعمل في معنى الكسر أيضاً (القسم) وقد فرق بينهما ابن جني قائلاً: "ومن ذلك القَسْم والقَصْم، فالقَصْم أقوى فِعْلاً من القسم؛ لأن القصم يكون معه الدقّ وقد يقسم بين الشيئين فلا يُنْكأ أحدهما؛ فلذلك خصّت بالأقوى الصادُ، وبالأضعف السينُ"[2]، أي أنه على الرغم من اتفاق السين والصاد في المخرج، وهو طرف اللسان وأطراف الثنايا السفلى إلا أن الصاد أقوى لصفتي الاستعلاء والإطباق، وهما من صفات قوة الصوت، التي تنعكس بالطبع على قوة الدلالة في (القصم)، كما انعكس ضعف السين على بالاستفال والانفتاح على ضعف الدلالة في (القسم).

3. **القبضة، والقبصة**، ومن أمثلتهما قوله تعالى: (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي[طه: 96]): "قرأ الجمهور (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً) بالضاد منقوطة، بمعنى أخذت بكفي مع الأصابع، وقرأ عبد الله بن مسعود وعبد الله بن الزبير، وأُبيّ: (فقبصت قبصة) بالصاد غير منقوطة بمعنى أخذت بأصابعي فقط.."[3]

وهنا نلاحظ أن القبضة والقبصة يجمعهما معنى الأخذ، إلا أن (القبضة) تستعمل في أخذ ما هو أكثر؛ لأنها تدل على الأخذ بالكف مع الأصابع، لكن (القبصة) تدل على الأخذ بأطراف الأصابع فقط، لذلك قال جمهور اللغويين والمفسرين: "القبضة بالكف كلها، والقبصة بأطراف الأصابع".[4]

وأقول: إن الدلالة البيانية لصوت الضاد والصاد هي التي سوَّغت اختلاف الدلالة بين اللفظين، وفي ذلك يقول ابن جني: "إن الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها جُعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلها جُعلت عبارة عن الأقل".[5]

ولعل المراد من تفشي الضاد هو امتداد مخرجها من إحدى حافتي اللسان وما حاذيها من الأضراس من اليسرى أو اليمنى، وإن كانت من اليسرى صعبة فمن اليمنى أصعب، كما أن المراد بصفاء الصاد أن تخرج من طرف اللسان وأطراف الثنايا السفلى، ومن ثم فالصاد أيسر مخرجاً مع ما يصاحبها من صفة الصفير، فكانت الضاد أقوى من الصاد في الدلالة على الأخذ داخل بنية الكلمة، ولهذا فالقبضة أكثر أخذاً من القبصة.

4. **التجسس والتحسس**، ومن أمثلتهما قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً...[الحجرات من الآية:12]): "(وَلَا تَجَسَّسُوا) أي لا تبحثوا على مُخَبَّآت أمور الناس، وادفعوا بالتي هي أحسن، وأخبروا بالظواهر الحسنة، وقرأ الحسن وأبو رجاء: (ولا تحسسوا) بالحاء غير منقوطة، وقال بعض الناس: التجسس –

(1) القرطبي، الجامع ج6 ص 4450، السمين الحلبي، الدر المصون ج1 ص618.
(2) ابن جني، الخصائص، ج2 ص163، وأبو سكين، د. عبد الحميد، نظرات في علم الدلالة، ص90، من دون محل وتاريخ طبع.
(3) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ص92، ط المتنبي القاهرة بدون تاريخ.
(4) الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، ج7 ص 386، طبع بعناية الشيخ زهير جعيد، ط دار الفكر بيروت 1412هـ، 1992م.
(5) ابن جني، أبو الفتح، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج2 ص55، تح علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1420هـ- 1999م.

بالجيم- في الشر، والتحسس -بالحاء- في الخير، وهكذا ورد القرآن، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال، وقال أبو عمرو بن العلاء: التجسس: ما كان من وراء وراء، والتحسس بالحاء: الدخول والاستعلام، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا إِخْوَانًا)[1]"."[2]

وهنا نلاحظ أن (التجسس والتحسس) بمعنى البحث عن مُخَبَّآت أمور الناس، وقد قال بذلك الأخفش وأبو عبيدة وابن النحاس وغيرهم[3]، لكن يتميز التجسس عن والتحسس؛ فالتجسس يستعمل في البحث من أجل الشر، أو ما كان بمبالغة كما قال أبو عمرو بن العلاء، وفي هذه الدلالة قال القرطبي: "ومنه قيل: رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور، وبالحاء: هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.. جسست الأخبار وتجسستها أي تفحصت عنها"[4]، فالجيم أقوى في الدلالة.

ويستعمل التحسس في مجرد البحث والاستعلام عن خبايا الأمور، أو إدراكها ببعض الحواس، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: والتحسس بالحاء: الدخول والاستعلام، وهو أن يستمع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتَسَمَّع على أبوابهم[5]، لكنه من غير بحث وتكلف في الطلب.

وأقول: إن صوت الجيم أقوى من صوت الحاء؛ لتفوق الجيم في صفات الجهرة والشدة والقلقلة، وهي صفات قوة صوتية، بينما تتصف الحاء بالهمس والرخاوة والاستفال، وهي صفات ضعف.

ومما يؤيد ضعف الحاء في الدلالة في(التجسس والتحسس) أن القرآن الكريم استخدم التحسس في مقام التلطف فقال تعالى على لسان نبيه يعقوب عليه السلام: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ[يوسف من الآية: 87]) فعبر بالتحسس لما كان الغرض البحث عنهما وعن أخبارهما؛ ومن ثم فدلالة السياق على قراءة (وَلَا تَجَسَّسُوا) خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله[6]، ودلالة السياق على قراءة (ولا تحسسوا) لا تبحثوا عن أي شيء ولو كان صغيراً لا يضر ولا ينفع، وبمجموع القراءتين يتضح النهي الصريح عن البحث أو التفتيش عن الأمور اليسيرة حتى وإن كانت في الخير؛ لأنها قد تؤدي إلى ما هو شر، والنهي عن الخوض في عِرض المسلم أو الكلام في حقه بالشر، وهذا من مقاصد القرآن الكريمة.

المطلب الثاني: الألفاظ الموضوعة لمحاكاة الأصوات.

المقصود أن اللفظ يدل على معناه بأداء أصواته، وقد كشف المفسرون النقاب عما تحمله بعض الكلمات من الدلالة على محاكاة الأصوات التي تدل عليها، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

1. **المخر**، ومن ذلك قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل:14]): "(مَوَاخِرَ) جمع ماخرة، و(المخر) في اللغة الصوت الذي يكون من هبوب الريح على شيءٍ يُشَقُّ، أو يصحب في الجملة الماءَ، فيترتب منه أن يكون من السفينة ونحوها، وهو في هذه الآية من

(1) الحديث في صحيح البخاري عن أبي هريرة برقم (4747) ج16 ص110، وتمامه (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا إِخْوَانًا وَلَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ).

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج13 ص506 وما بعدها.

(3) القرطبي، الجامع، ج9 ص6382.

(4) نفس المرجع السابق.

(5) درويش، محيي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ج9 ص273 ط. دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص سورية، الرابعة، 1415هـ، 1994م.

(6) قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، ج6 ص3346، ط. دار الشروق، الثالثة عشر 1407هـ، 1987م.

السفن، ويقال للسحاب: بنات مَخْر تشبيهاً، إذ في جريها ذلك الصوت الذي هو عن الريح، والماء الذي في السحاب، وأمرها يشبه أمر البحر على أن الزجاج قد قال: بنات المخر سحاب بيض لا ماء فيها.."[1] وقال الطبري: "والمخْر في كلام العرب: صوت هبوب الريح، إذا اشتدّ هبوبها، وهو في هذا الموضع: صوت جري السفينة بالريح إذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها، يقال منه: مَخَرَتِ السفينةُ تَمْخَرُ وتَمْخُر مَخْراً ومُخُوراً جرت تَشُقُّ الماءَ مع صوت، وهي ماخرة، ويقال: امْتَخَرَت الريح وتمخرتها: إذا نظرتَ من أين هبوبها وتسمَّعت صوت هبوبها".[2]

والظاهر هنا أن دلالة كلمة (المخر) ترجع إلى الصوت الذي يكون من الريح أو السفينة وقت شقها للماء حين تمرّ فيه، ويؤيد ذلك قول الأصمعي: بنات مخْر، وهي سحائب يأتين قبل الصيف بيض منتصبات في السماء[3]، وعلة تسميتها بهذا الاسم أن في جريها ذلك الصوت الذي هو عن الريح، ومن ثم فالمخر صوت جرى الفلك بالرياح.[4]

ومما يؤيد محاكاة هذا اللفظ لصوت الرياح قول الزمخشري: "فلكٌ مواخر تمخر الماء أي تشقّه مع صوت، ونشأت بنات مخرٍ وهي سحاب الصيف تمخر الجو مخراً، واستمخرت الريح استقبلتها بأنفي، وخرجت من فِيه مَخْرة خبيثة وهي الريح الخارجة من الجوف".[5]

2. **الجؤار**، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ [النحل: 53]): "(تَجْأَرُونَ) معناه ترفعون أصواتكم باستغاثة وتضرع، وأصله في جؤار الثور والبقرة وصياحها، وهو عند جهد يلحقها أو في أثر دم يكون من بقر تذبح، والأصوات تأتي غالباً على فُعَال أو فَعِيل".[6]

لجأ المفسرون للكشف عن دلالة كلمة (تَجْأَرُونَ) إلى أنها من الجؤار وهو مما يحاكي أصوات الطبيعية، حيث يدل على الصوت الذي يكون من الثور والبقر ونحوه، يقول في ذلك الفراء: "الجُؤار: الصوت الشديد، والثور يقال له: قد جأرَ يَجْأَر جُؤاراً إذا ارتفع صَوته من جوع أو غيره".[7]

والمراد من اللفظ داخل السياق القرآني: إذا مسكم الضر أي السقم والبلاء فتضجون برفع أصواتكم بالدعاء والتضرع[8]، واستندوا لتأكيد هذا المعنى بالسياقات اللغوية التي تدل على رفع الصوت.

كما أن جُلّ الأصوات التي تحاكي أصوات الطبيعية تأتي على فُعَال أو فَعِيل، يؤيد ذلك قول الزجاج: "والأصوات مبنية على فُعَال أو فَعِيل، فأما فُعَال أو فنحو الصُّراخ، والجُؤار، والبُكَاء، وأما الفَعِيل فنحو العويل والزئير، والفُعال أكثر"[9].

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج8 ص386 وما بعدها.

(2) الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج17 ص182، تح أحمد محمد شاكر، ط. مؤسسة الرسالة الأولى1420هـ، 2000م، ولسان العرب (م خ ر).

(3) ابن جني، أو الفتح عثمان، الخصائص ج الثاني ص87، وانظر: المباحث الدلالية عند الزمخشري 164.

(4) القرطبي، الجامع ج5 ص3813.

(5) أساس البلاغة (م خ ر).

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج8 ص441 وما بعدها.

(7) الفراء، معاني القرآن، ج2 ص105، تح محمد علي النجار، ط. دار السرور بدون تاريخ.

(8) الطبري، جامع البيان ج1 ص119.

(9) الزجاج، معاني القرآن، ج3 ص204.

3. **الحسيس**، ومن ذلك قوله تعالى: (لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ [الأنبياء: 102]): "الحسيس الصوت، وهو الجملة ما يتأدَّى إلى الحس من حركة الأجرام، وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة؛ لأن الحديث يقتضي أن في الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبيّ ولا ملك إلا جثا على ركبتيه"(1)

والظاهر هنا أن دلالة كلمة (الحسيس) تدل على الأصوات التي تحدثها حركة الأجرام، قال القرطبي: "حسيسها أي حِسّ النار وحركة لهبها، والحسيس والحس الحركة"(2)، ولهذا فاللفظ من الألفاظ المصورة بجرسها لمعناها، فهو ينقل صوت النار وهي تسري وتحرق وتحدث ذلك الصوت المفزع، وإنه لصوت يتفزع له الجلد ويقشعر، ولذلك نَجّى الذين سبقت لهم الحسنى من سماعه، ثم إن هذا الصوت الحسي هو الأبلغ شأناً في دقة التصوير المعنوي، والإبداع في تلوين الخطاب القرآني(3)، كل هذه الإيحاءات يصبها اللفظ في السياق صباً.

الجدير بالذكر أن الكلمتين إن فرّق بينهما معنى الدلالة الصوتية لحرفين مخصوصين وتباعد الحرفان في المخرج –أي لم يتحدا فيه– فإننا حينئذ نعتد باتحاد الصفات واختلافها فارقاً بين الصوتين.

المبحث الثالث: البناء اللفظي للكلمة وأثره في المعنى

في هذا المبحث سأتناول قيمة البناء اللفظي للكلمة وأثره في الدلالة على المعنى داخل السياق القرآني بغية الوصول إلى المعنى المراد من النص، من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التكرار في اللفظ لتكرار المعنى.

كشف القدماء عن ظاهرة البناء الصوتي للكلمة ودلالته على المعنى، فيقول الخليل: "صَرَّ البابُ يَصِرُّ، وكلُّ صَوْتٍ شِبْهُ ذلك فهو صَرير إذا امتدَّ، فإذا كانَ فيه تخفيف وتَرجيع في إعادةٍ ضُوعِفَ كقولك: صَرْصَرَ الأخطَبُ صَرْصَرَةً" (4)، ويضيف ابن جني: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه وتلقَّته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحّتِه، قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجُنْدُب استطالة ومدّا فقالوا: صَرَّ وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر"(5)، ومن أمثلة ذلك في تفسير ألفاظ القرآن ما يأتي:

1. **الزلزلة**، في تفسير قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ[البقرة من الآية: 214]): "الزلزلة شدة التحريك، تكون في الأشخاص وفي الأحوال، ومذهب سيبويه أن (زَلْزَل) رباعي كدَحْرَج، وقال الزجّاج: هو تضعيف في زَلْ فيجيء التضعيف على هذا في الفاء"(6)، وقال في قوله تعالى: (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً [الأحزاب: 11]): "(وَزُلْزِلُوا) معناه حركوا بعنف...وقرأ الجحدري (زَلْزَالاً) بفتح الزاي، وكذلك (زَلْزَالَهَا) في: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا[الزلزلة:1]) وهذا الفعل هو مضاعف زَل، أي زلزله غيره".(7)

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج10 ص211.
(2) القرطبي، الجامع ج6 ص4526.
(3) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية 188، تح عبد الله المنشاوى، ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة، الأولى1997م.
(4) العين (ص ر ر).
(5) ابن جني، الخصائص ج2 ص154.
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز ج2 ص213.
(7) المرجع السابق ج12 ص24.

كشف المفسرون عن دلالة كلمة (الزلزلة) من خلال بيان أصلها الاشتقاقي من جهة، والتكرار الذي يحمله اللفظ من جهة أخرى، فأشاروا إلى أن مذهب سيبويه أن (زَلْزَل) رباعي مضعف كدحرج[1]، بيد أن الزجاج وابن جني وغيرهما جعلوه مضاعفاً؛ لأنه يدل على شدة التحريك في الأحوال والأشخاص[2]؛ نظراً للتكرار الذي في لفظه.

ويكشف الزجاج عن دلالة هذا اللفظ فيقول: "أصل الزلزلة في اللغة زَلَّ الشيء عن مكانه، فإذا قلت زلزلة فتأويله كررت من مكانه، وكل ما فيه ترجيع كررت فيه فاء التفعيل، تقول: أقل فلان الشيء من مكانه، فإذا كرر رفعه ورده قيل: قلقله، وكذا صل وصلصل، وصَرَّ صرصر، فعلى هذا قياس هذا الباب، فالمعنى أنه يكرر عليهم التحريك بالخوف".[3]

كما أن التكرار الذي في اللفظ يصور زلزلة الساعة المرعبة، وهولها العظيم، إنه هول يمر في وسط حيّ، ويقاس بمقاييس حيّة، فهو هول حيّ لا يقاس بالجحيم والضخامة وإنما يقاس بوقعه في النفوس الآدمية[4]، وهذا سر من أسرار التعبير بهذا اللفظ لما فيه من التكرار.

2. **الصرصر**، وذلك نحو قوله تعالى: (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[آل عمران: 117]): "الصِّرُّ البرد الشديد المحرق لكل ما يهب عليه، وهو معروف، قال ابن عباس وجمهور المفسرين: الصِّرُّ البرد، وتُسَمِّيه العرب الضريب، وذهب الزجّاج وغيره: إلى أن اللفظة من التصويت، من قولهم صر الشيء، ومنه الريح الصرصر، قال الزجاج، فالصر صوت النار التي في الريح، قال ابن عطية: الصر هو نفس جهنم الذي في الزمهرير يحرق نحواً مما تحرق النار"[5]، وقال في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ [القمر: 19]): "(الصرصر) من (الصر)..وقال جماعة من المفسرين معناه: المصَوِّتة نحو هذين الحرفين مأخوذ من صَوّت الريح إذا هبت دفعاً؛ كأنها تنطق بهذين الحرفين الصَّاد والرَّاء، وضوعف الفعل كما قالوا: كبكب وكفكف، من كب وكب، وهذا كثير"[6]

– كشف المفسرون النقاب هنا عن دلالة التكرار في كلمة (الصرصر) من خلال بيان الأصل الاشتقاقي لها وأنها تضعيف لـ(صر)، فالصر عنده هو الصوت من غير تكرار؛ يقال: صرّ صريراً صوت، وصرّ العصفور والجندب، وصر القلم والباب، إذا كان له صوت، وصر الأذن كأن لها طنين[7]، وقال الزجاج: "(كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ) جعل فيها صرٌ أي صوت...وإنما جعل فيها صوتاً؛ لأنه جعل فيها ناراً كأنها نار أحرقت الزرع، فالصر على هذا القول صوت لهيب النار، وهذا كله غير ممتنع"[8]

(1) سيبويه، عمر بن قبر، الكتاب، ج3 ص16، تح عبد السلام محمد هارون. ط دار الكتب العلمية، مكتبة الخانجي. الثالثة 1408 هـ – 1988م.
(2) القرطبي، الجامع ج1 ص948.
(3) الزجاج، معاني القرآن ج1 ص285.
(4) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، 187، ط. دار الفرقان عمان الأردن، الأولى 1403هـ، 1983م.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3 ص283.
(6) المرجع السابق، ج14 ص155.
(7) المعجم الوسيط (ص ر).
(8) الزجاج، معاني القرآن، ج5 ص214.

وأشاروا إلى ظهور أثر التكرار في اللفظ مما أدى إلى ظهوره في المعنى أيضاً؛ فآثر أن يكون الصرصر من صرَّت الريح إذا هبت دُفعاً؛ كأنها تصوت بحرفي الصاد والراء، فكأن الريح تكرر الصاد والراء وذلك لشدتها وتكرارها، ويكشف الزجاج عن التكرار الذي في لفظ الصرصر فيقول: "الصرصر شدة البرد وصرصر متكرر فيها البرد، كما تقول: قد قلقلت الشيء، وأَقْلَلْتُ الشيء إذا رفعته من مكانه، إلا أن قلقلته رَدَدْتُه أي كرَّرت رفعه، وأَقْلَلْتُه رفعته، فليس فيه دليل تكرار، وكذلك صرصر وصر، وصلصل وصل، إذا سمعت صوت الصرير غير مكرر قلت: قد صَرَّ، وصَلَّ، فإذا أردت أن الصوت تكرر قلت: قد صلصل وصرصر"[1]، ولهذا قال الزمخشري: "الصرصر العاصفة التي تصرصر، أي تصوت في هبوبها"[2]، ولا يخفي ما يحمله اللفظ من الرعب المعنوي والحسي في الأبصار والأذهان.

3. **التذبذب**، وذلك نحو قوله تعالى: (مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً[النساء: 143]): "(مُّذَبْذَبِينَ) معناه: مضطربين لا يثبتون على حال، والتذبذب: الاضطراب بخجل أو خوف أو إسراع في مشي ونحوه، ومنه قول النابغة:

أَلم تر أنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذبْذَبُ[3]

ومنه قول الآخر: خَيَالٌ لأُمِّ السَّلْسَبيلِ وَدُونَها مَسِيرةُ شَهْرٍ للْبَرِيدِ المذَبْذَبِ[4]

بكسر الذال الثانية، قال أبو الفتح: أي المهتز القلق الذي لا يثبت، ولا يتمهل فهؤلاء المنافقون مترددون بين الكفار والمؤمنين، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين) [5] فالإشارة بذلك إلى حالي الكفر والإيمان".[6]

– كشف مقصد القرآن الكريم من حال المنافقين من خلال دلالة البناء الصوتي والتكرار في كلمة (مُّذَبْذَبِينَ)، حيث تصور الكلمة التكرار والتردد وعدم الثبوت، فهم يذهبون في إسراع ويظهرون لهؤلاء أنهم منهم ثم يرتدون على أعقابهم ويظهرون لهؤلاء أنهم منهم، وفي ذلك يقول الزمخشري: "ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر؛ فهم متردّدون بينهما متحيرون، وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقرّ في جانب واحد...إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب فكأن المعنى: كلما مال إلى جانب ذَب عنه".[7]

فحال المنافقين يدل على الاضطراب بخجل أو خوف أو إسراع في مشي ونحوه؛ ولذلك هم مترددون بين المؤمنين وبين المشركين، كما في حديث (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة)[8]، يقول الآلوسي: "أصل الذبذبة: صوت الحركة للشيء المعلق، ثم استعير لكل اضطراب وحكة، أو تردد بين شيئين"[1]

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) الزمخشري، الكشاف ج4 ص193.

(3) البيت من البسيط وهو للنابغة في ديوانه ص18.

(4) البيت من الطويل وهو للبُعيث بن حريث في المحتسب ج1 ص203.

(5) الحديث في صحيح مسلم برقم (4990) ج13 ص336، وتمامه: عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة).

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4 ص268.

(7) الزمخشري، الكشاف ج4 ص323.

(8) القرطبي، الجامع ج2 ص2084.

4. **كبكب**، ومنه قوله تعالى: (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ [الشعراء: 94]): "(فَكُبْكِبُوا) من كبكب مضاعف كَبَّ، هذا قول الجمهور وهو الصحيح؛ لأنهما واحد، والتضعيف مثل صر وصرصر وغير ذلك"[2]، ويقول الزجاج: "وحقيقةُ ذلك في اللغة تكرير الانْكِبابِ كأنه إذا أُلْقِيَ يَنْكَبُّ مَرَّةً بعد مرَّة حتى يَسْتَقِرَّ فيها نَسْتَجيرُ باللّه منها"[3]، وقال السمين:"الكَبْكَبَةُ تكريرُ الكَبِّ جَعَلَ التكريرَ في اللفظِ دليلاً على التكريرِ في المعنى، وقال ابن عطية نحوً منه، قال: وهو الصحيحُ لأنَّ تكريرَ الفعلِ بَيِّنٌ نحو: صَرَّ وصَرصَرَ وهذا هو مذهب الزجاج"[4]، ويبدو تأثر السمين هنا بابن عطية ونقله عنه، وأضاف السمين: "وفي مثل هذا البناءِ ثلاثةُ مذاهب: أحدها: هذا، والثاني: وهو مذهبُ البصريين أنَّ الحروفَ كلَّها أصولٌ، والثالث: وهو قول الكوفيين أنَّ الثالثَ مُبْدَلٌ من مثلِ الثاني، فأصل كَبْكَبَ: كَبَّبَ بثلاثِ باءات، ومثلُه: لَمْلَمَ وكَفْكَفَ هذا إذا صَحَّ المعنى بسقوطِ الثالث، فأمَّا إذا لم يَصِحَّ المعنى بسقوطِه كانَتْ كلُّها أصولاً من غيرِ خلافٍ نحو: سِمسِم وخِمْخِم".[5]

– ويكشف سيد قطب عن ماهية التكرار فيقول: "إننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف، فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه، وإنهم لغاوون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوون".[6]

5. **دمدم، ومنه قوله تعالى**: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا [الشمس:14]): "(دَمْدَمَ) معناه أنزل العذاب مُقْلقاً لهم مُكرراً ذلك وهي الدَّمْدَمة".[7] ويقول في ذلك الزجاج: "يقال: دَمْدَمْت على الشيء إذا أطبقت عليه، وكذلك دمدمت على الميت الترابَ أي سوّيته عليه، ويقال: ناقة مدمومة، أي قد ألبسها الشحم، فإذا كررت الإطباق قلت دَمْدَمْت عليه"[8]، ويقول القرطبي: "فحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده"[9]، فاللفظ يوحي بما وراءه، ويصور معناه بجرسه، ويكاد يرسم مشهداً مروعاً مخيفاً! وقد سوى الله أرضهم عاليها بسافلها، وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد[10]، كل هذه الإيحاءات يكشف عنها تكرار اللفظ داخل هذا السياق القرآني المعجز.

المطلب الثاني: ترتيب أصوات الكلمة وفق أجزاء الحدث.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج3 ص 358، تصحيح محمد حسين العرب، ط دار الفكر بيروت 1414 هـ، 1994م.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج11 ص128.

(3) الزجاج، معاني القرآن، ج3 ص278.

(4) السمين الحلبي، الدر المصون ج5 ص280.

(5) نفس المرجع السابق.

(6) سيد قطب، في ظلال القرآن ج5 ص2605.

(7) ابن عطية، المحرر الوجيز ج15 ص 474.

(8) الزجاج معاني القرآن ج5 ص333.

(9) القرطبي، الجامع ج10 ص7417.

(10) سيد قطب، في ظلال القرآن ج6 ص3919.

يقول ابن جني في هذه الظاهرة: "ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبهَا، وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سَوْقا للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب".[1]

ومن مظاهر هذه المناسبة دلالة (استفعل) يقول فيها ابن جني: "ومن ذلك أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب نحو استسقى واستطعم...فرتّبت في هذا الباب الحروفُ على ترتيب الأفعال... فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول الفاء والعين واللام، فهذا من اللفظ وَفْق المعنى الموجود هناك، وذلك أن الطلب للفعل والتماسَه والسعي فيه والتأتي لوقوعه تقدّمه، ثم وقعت الإجابة إليه، فتبع الفعلُ السؤالَ فيهِ والتسبّب لوقوعه، فكما تبِعت أفعال الإجابة أفعالَ الطلب كذلك تبعت حروفُ الأصل الحروفَ الزائدة التي وضعت للالتماس والمسئلة".[2] وقد المفسرون في مواضع كثيرة عن دلالة صيغة (استفعل) على الطلب، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

1- **استوقد**، ومن ذلك قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ [البقرة: 17]): "(اسْتَوْقَدَ) قيل معناه أوقد، فذلك بمنزلة عجب واستعجب بمعنى، قال أبو علي: وبمنزلة هزىء واستهزأ وسخر واستسخر، وقر واستقر وعلا قرنه واستعلاه، وقد جاء استفعل بمعنى أفعل أجاب واستجاب..ومنه أوقد واستوقد قاله أبو زيد، وقيل: (اسْتَوْقَدَ) يراد به طلب من غيره أن يوقد له على المشهور من باب (استفعل)، وذلك يقتضي حاجته إلى النار، فانطفاؤها مع حاجته إليها أنكى له".[3]

ومن ذلك يتضح أن أصل الدلالة في صيغة (استفعل) أنها تدل على الطلب، وإن دلت على غير الطلب فمعناها حينئذ مجرد الفعل، وعلى هذا المعنى فالسين والتاء زائدتان، وهو اختار الأخفش في هذا السياق.[4]

قال السمين معقباً على قول الأخفش: "ورُجِّحَ قولُ الأخفش بأنَّ كونَه للطلب يستدعي حَذفَ جملةٍ، ألا ترى أنَّ المعنى استدعَوْا ناراً فَأَوْقدوها، فلمَّا أضاءَتْ لأنّ الإضاءةَ لا تَتَسَبَّبُ عن الطلبِ، إنما تُسَبَّبُ عن الإيقاد"[5]، ومن ثم فإن كانت الصيغة للطلب فالسين والتاء زائدتان مقدمتان على الفعل لغرض الطلب، كما يتقدم الطلب على الفعل، وإلا ف(استفعل) في معنى (فعل) المجرد، ولا تدل السين والتاء على معنى الطلب.

2- **استسقى**، ومن ذلك قوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً[البقرة من الآية: 60]): "(اسْتَسْقَى) معناه طلب السقيا، وعرف (استفعل) طلب الشيء، وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى: (فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [التغابن من الآية: 6]) بمعنى غني، وقولهم: استعجب بمعنى عجب، ومثل بعض الناس في هذا بقولهم: استنسر البغاث، واستنوق الجمل، إذ هي بمعنى انتقل من حال إلى حال".[6] ومن ذلك يتضح أن

(1) ابن جني، الخصائص، ج2 ص164.
(2) المرجع السابق ج2 ص155، هلال، د. عبد الغفار حامد العربية خصائصها وسماتها 168. ط دار الكتب الجامعية الحديثة 1999م.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1 ص184.
(4) القرطبي، الجامع، ج1 ص259.
(5) الحلبي، الدر المصون ج1 الصفحة131، روح المعاني ج1 ص163 وما بعدها.
(6)ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1 ص311.

صيغة (استفعل) داخل هذا السياق القرآني، تدل على الطلب فالمعنى أنه طلب السقيا؛ لأن ترتيب حروفها مناسب لترتيب الحدث المراد منها وهو الطلب.

وقال ابن عطية في قوله تعالى:(فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ): "هذه عبارة عما ظهر من هلاكهم، وأنهم لن يضروا الله شيئاً، فبان أنه كان غنياً أزلاً، وبسبب ظهور هلاكهم بعد أن لم يكن ظاهراً ساغ استعمال هذا البناء مسنداً إلى اسم الله تعالى، لأن بناء استفعل إنما هو لطلب الشيء وتحصيله بالطلب"[1]، ومن ثم فالله تعالى غني عنهم، أما دلالة صيغة (استفعل) في سياق آية البقرة فمعناها الاستدعاء على وجه الدعاء وطلب السقيا لهم[2]، وأشار المفسرون أن من دلالات صيغة (استفعل) معنى التحول، كما في قولهم: اسْتَنْسَرَ البغاثُ، واسْتَنْوَقَ الجَمَلُ أي تشبَّه بالناقة [3]، لكن هذه الدلالة تختلف عن دلالة الطلب الأولى.

3- **استعفّ**، ومنه قوله تعالى: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ [النور من الآية: 33]): "(استعفّ) وزنه استفعل ومعناه طلب أن يكون عفيفاً، فأمر الله تعالى في هذه الآية كل من يتعذر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر أن يستعف"[4]، فقد اعتمد المفسرون في كشف دلالة كلمة (وَلْيَسْتَعْفِفِ) على بيان أصلها الاشتقاقي، وأنها من استعفّ، ثم بيان ما تدل عليه بنسيجها الصوتي على معنى الطلب، وآثر أن تدل صيغة (استفعل) هنا على معنى الطلب، وقد نقل القرطبي ما قال ابن عطية ووافقه عليه.[5]

المطلب الثالث: توالي حركات المثال لتوالي حركات الأفعال.

يرجع أصل القول بهذا النوع من المناسبة بين الألفاظ ودلالتها إلى قول سيبويه في المصادر التي جاءت على فَعَلان إنها تدل على الاضطراب والحركة، فقال: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحدٍ حين تقاربت المعاني قولك: النَزَوان، والنَقَزان[6]؛ وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع... ومثل هذا الغَلَيان؛ لأنه زعزعة وتحرك، ومثله الغَثَيان، لأنه تجيش نفسه وتثورٌ".[7]

ولهذا قال ابن جني: "قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النَقَزان والغليان والغثيان؛ فقابلوا بتوالي حركات المثال توالى حركات الأفعال".[8]

وقد أشار بعض المفسرين إشارة موجزة في موضع واحد إلى مثل هذه الدلالة، قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [العنكبوت: 64]): "(الْحَيَوَانُ) و(الحياة) بمعنى واحد، وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهَيَمان ونحوه، والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن"[9]، وهنا اكتفى ابن عطية بالإشارة إلى أن (الْحَيَوَانُ) بزنة فَعَلان مصدر عند سيبويه، كالهَيَمان ونحوه، والحيوان مصدر حي كالحياة، لكن فيها مبالغة ليست في الحياة[10]،

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج14 ص477.
(2) السمين، الدر المصون ج1 ص136.
(3) اللسان والقاموس (ن و ق).
(4)ابن عطية، المحرر الوجيز، ج10 ص498.
(5) القرطبي، الجامع، ج 6 ص4779، قطب، في ظلال القرآن، ج4 ص2515.
(6) النَقَزان، بالقاف وبالفاء أيضاً، هو الوثب، ومثله الوَثَبان، المقاييس (ر ق ص).
(7) سيبويه، الكتاب، ج2 ص218.
(8) ابن جني، الخصائص ج2 ص154، السيوطي، المزهر ج1 ص48.
(9) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج11 ص416 وما بعدها.
(10) الزمخشري، الكشاف،ج3 ص463، الآلوسي، روح المعاني، ج21 ص12.

ولهذا عقب أبو حيان على قول ابن عطية قائلاً :"جاء بنا مصدر حي على فعلان؛ لأنه يدل على الحركة والاضطراب، كالغَلَيان، والنَزَوان، واللَهَيان، والجَوَلان، والطَوَفان، والحي كثير الاضطراب والحركة، فهذا البناء فيه لكثرة الحركة"[1]، وأضاف النسفي:"ولم يقل: (لهي الحياة) لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب".[2]

قال الرازي: "كيف أطلق الحيوان على الدار الآخرة مع أن الحيوان نام مدرك؟ فنقول: الحيوان مصدر حي كالحياة، لكن فيها مبالغة ليست في الحياة، والمراد بالدار الآخرة هي الحياة الثانية، فكأنه قال الحياة الثانية هي الحياة المعتبرة".[3]

الخاتمة

– لمح القدماء في الحرف العربي قيمة تعبيرية موحية، إذ لم يَعْنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبّر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حَلَّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظلّ وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع، وقد تجلى ذلك في القرآن الكريم وكشف عنه المفسرون لبيان مقاصد القرآن الكريم.

– إن وجود ظاهرة (مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصوتها من الأحداث)، وظاهرة (الألفاظ التي تحاكي أصوات الطبيعة) في القرآن الكريم يكشف عن بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب –والقرآن الكريم– في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني؛ فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس؛ لما هو أدنى وأقل عملاً أو صوتاً، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً، وقد راعى القرآن الكريم ذلك جيداً بنصه اللغوي المعجز؛ فقد عدَّ للحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية؛ فاستحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجرى مجرى الحشو والاعتراض، بل نزلت كل كلماته وحروفه منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة وقوة الفصاحة.

– إن وجود ظاهرة (التكرار في اللفظ لتكرار المعنى) في ألفاظ القرآن الكريم يدل دلالة أكيدة على أن كل كلمة وضعت في القرآن الكريم بدقة وحكمة غلبت كل ما عرف العرب من بلاغة وفصاحة، وإن كانت تجرى على سنن لغتهم نظماً ونثراً كما استشهد المفسرون في تفسير بالشعر وكلام العرب، فاللفظ في القرآن إن وُضع بغير تكرار دَلَّ على مجرد الحدث، أما إن تكرر نسيجه الصوتي فيزيد من قوة تكرار الفعل وتحقيق وقوعه، وتصوره الدلالة كأنها ماثلة نصب العين.

– كما ثبت من البحث أن للباحثين المحدثين نظرات في اللغة يحسبونها أصيلة بِكراً حتى إذا درسوا آثار القدماء وتصانيفهم؛ تبين لهم أن الأولين قد أتوا على هذه النظرات بالبحث والدراسة، والفرق بين الدراستين أن الدراسة الحديثة أخذت من الشهرة والانتشار ما لم تأخذه الدراسة القديمة.

– نزلت حروف وكلمات القرآن منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة وقوة الفصاحة ومناسبة الألفاظ والحروف لدلالاتها داخل السياق القرآني، وهو ما ظهر في جهود بعض المفسرين من خلال كشفه عن مناسبة الحروف والألفاظ لدلالاتها، فالحرف

(1) أبو حيان، البحر المحيط جء7 ص158، قطب، في ظلال القرآن ج5 ص2751، المباحث الدلالية عند الزمخشري 98.

(2) النسفي، تفسير النسفي، ج3 ص212، تح مروان محمد الشعار، ط. دار النفائس بيروت 2005م.

(3) الرازي، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتح الغيب) لمحمد الرازي، ج25 ص93، ط. دار الفكر، الأولى 1401 هـ، 1981م.

في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها له دلالته، كما أن هناك بعض الألفاظ في القرآن الكريم تحاكي الأصوات الطبيعية، ومما لا شك فيه أن مثل هذه الألفاظ أرادت أن تضع القارئ أو المستمع في جو الحدث؛ حتى يعيش مع القرآن بالإحساس والمعنى معاً.

وأخيراً: القرآن الكريم كتاب معجز فيه مناسبة بين حروفه وكلماته ومعانيه، فهو ضَبط أصوتنا، فقال: (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ)، وضبط مشيتنا، فقال: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)، وضبط نظراتنا، فقال: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ)، وضبط سمعنا وألسنتنا فقال: (وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)، وضبط طعامنا، فقال: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)، وضبط ألفاظنا فقال: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)، وضبط مجالسنا، فقال: (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)، وضبط تصريحاتنا، فقال: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)، وعلمنا العفو والتسامح، فقال: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)، فالقرآن كفيل أن يضبط حياتنا ويحقق لك حياة السعداء في الدنيا والآخرة لأنه منهاج حياة ودليلنا إلى الجنة.

المصادر والمراجع

أبو عبيد، غريب الحديث، تح د. محمد عبد المعيد، ط. دار الكتاب العربي بيروت، 1396 هـ، 1976م.

أبو سكين، د. عبد الحميد، نظرات في علم الدلالة، من دون محل وتاريخ طبع.

أنيس، د. إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط. مكتبة الأنجلو المصرية، الخامسة 1984م.

الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، بعناية الشيخ زهير جعيد، ط دار الفكر بيروت 1412هـ، 1992م.

الآلوسي، روح المعاني، تصحيح محمد حسين العرب، ط دار الفكر بيروت 1414 هـ، 1994م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح محمد علي النجار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999م.

ابن جني، أبو الفتح، المحتسب، تح علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1420هـ- 1999م.

ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ط المتنبي القاهرة بدون تاريخ.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال إبراهيم، ط، دار الفكر، ودار الكتاب الإسلامي، من دون تاريخ.

ابن عبّاد، المحيط في اللغة، تح محمد حسن آل ياسين، ط. عالم الكتب بيروت الأولى 1414هـ، 1993م

ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ط. دار صادر – بيروت.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان عمان1403هـ، 1983م

درويش، محيي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ط. دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص سورية، الرابعة، 1415هـ، 1994م.

الرافعي، مصطفي صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تح عبد الله المنشاوى، ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة، الأولى 1417هـ، 1997م.

الزجاج، معاني القرآن وإعرابه. تح د. عبد الجليل شلبي، ط. دار الحديث الثالثة 1418هـ - 1997م.

الرازي، تفسير الفخر، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، ط. دار الفكر، الأولى 1401 هـ، 1981م.

الزمخشري، أساس البلاغة، ط. دار الكتب العلمية بيروت 1978م.

سليم، جابر على السيد، المباحث الدلالية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف، الصفحة 92، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة عام 1412هـ، 1992م، برقم (2099).

السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح الشيخ علي محمد عوض وآخرون، ط دار الكتب العلمية بيروت، الأولى 1414هـ- 1994م.

السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، تح محمد أحمد جاد المولي، محمد أبو الفضل، علي محمد البيجاوي ط دار ابن خلدون، مكتبة دار التراث، الثالثة بدون تاريخ.

سيبويه، عمر بن قبر، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الثالثة 1408هـ- 1988م.

الصالح، د. صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط دار العلم للملايين، الثالثة 1997 م.

الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح أحمد محمد شاكر، ط. الرسالة الأولى1420هـ 2000م.

علام، د. عبد العزيز، في علم اللغة العام، د. عبد العزيز علام، دار الطباعة المحمدية،1410هـ، 1990م.

العريان، د. محمد عبد الحفيظ علم الدلالة نشأة وتطورا، ط. التركي الثانية 1424هـ-2003 م.

الفراء، معاني القرآن، تح محمد علي النجار، ط. دار السرور بدون تاريخ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، تح د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. ط. وزارة الثقافة والإعلام العراق، بدون تاريخ.

الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1397هـ، 1977م

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح إبراهيم محمد الجمل، ط. دار القلم للتراث، بدون تاريخ.

قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، ط. دار الشروق، الثالثة عشر 1407هـ، 1987م.

النسفي، تفسير النسفي، تح مروان محمد الشعار، ط. دار النفائس بيروت 2005م.

وافي، د. على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط. نهضة مصر، السابعة 1393هـ، 1973م.

هلال، د. عبد الغفار حامد، العربية خصائصها وسماتها، ط دار الكتب الجامعية الحديثة 1999م.